الدكتور/ حاتم صيد
hatem.sid@univ-msila.dz

♦♦♦

المحاضرة الثالثة عشر(13): الاتجاه الصراعي المحدث (3) والإخفاق المدرسي.

♦♦♦

المطلب الثاني - نظرية بودلوا و استبلات Baudelot et Establet " كمقاربة ثقافية في الاتجاه الصراعي المحدث:

انطلق "**بودلوا و استبلات**" من مقال: **ألتوسير** حول **الأجهزة الأيدولوجية للدولة**، والذي يرى أن المهيمن عليهم لا يثورون انطلاقا من هذه الفكرة، هذه الحالة مضمونة من قبل قوى رمزية يحصرها في شكلين من الأجهزة وهي : أجهزة قمعية للدولة (العنف)، أجهزة أيدولوجية للدولة (أيديولوجيا)، هذه الطرق تسمح باستدماج معايير المجتمع البرجوازي للإبقاء على النظام الرمزي،

ومن جهته يرى "ألتوسار " althusser " أنّ النظام المدرسي هو أحد الأجهزة الإيديولوجية للدولة، الذي يُؤَمِّنُ استنساخ روابط الإنتاج، عبر خلق نموذج تقسيم مستويات التكوين والتعليم، مطابق لنموذج تقسيم العمل السائد في مجتمع معيّن، ضمن حقبة تاريخية محدّدة، على أنّ وسيلة المدرسة هنا هي الإكراه الثقافي، الذي لا يعني العنف مثلما هو ظاهر في الأجهزة القمعية، بل إخضاع كل مكونات وعناصر العملية التعليمية إلى الإيديولوجيا السائدة بعبارة " ألتوسير"، أو المحافظة على النفوذ الثقافي للمُهَيْمِنِ ماديّا أو طبقيا، بعبارة (**باسرون وبورديو**) يصبح معه الفعل التربوي الذي أداته اللغة وعونه الدرّس ممثّلا للثقافة المؤسسية، أو هو عامل الاصطفاء الثقافي "علم لفرض الثقافة الشرعية للطبقة الحاكمة المهيمنة أو تكريسها" .(شهاب اليحياوي، 24 ماي 2014)

هذه المقاربة أيضا تنطلق من المسلمات الأساسية للمادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، التي تعتبر أن المجتمع ينقسم إلى طبقتين اجتماعيتين متناقضتين : طبقة بورجوازية مهيمنة ومسيطرة نتيجة لامتلاكها لوسائل الإنتاج، ولسيطرتها على قوى الإنتاج، وطبقة بروليتارية مستغلة، لا تملك إلاّ قوة العمل التي تبيعها مقابل أجر لا يفي بحاجياتها الأساسية؛ الشيء الذي ينتج عنه تراكم الرأسمال كفائض قيمة لصالح الطبقة الأولى.

ونظرا لهيمنة الطبقة البورجوازية على كل وسائل الإنتاج؛ فإنها تخلق لنفسها مؤسسات اجتماعية تساعدها من الناحية الوظيفية على معاودة إنتاج التمايز الطبقي. ونذكر منها الاسرة و المدرسة باعتبارهما ذاتي صلة مباشرة بإشكالية موضوعنا التي تتعلق بسوسيولوجيا الإخفاق المدرسي. (رشيد امعاز، حسن اقرطلو، 2008)

و المدرسة تمارس وظيفتها كذلك على هذا الأساس، حيث تقسم التلاميذ المترددين عليها إلى طبقتين غير متكافئتين، طبقة تستفيد من تمدرس طويل وهي أقلية، وطبقة لا تستفيد إلاّ من تمدرس قصير و تشكّل الأغلبية، و في هذا الصدد يؤكد كل من **"روجيه استابليه" و "كريستيان بودلو"** أن انقسام الأعداد المتمدرسة إلى جمهورين كبيرين يوافق نمطين من التمدرس، الأول يستوعب أكبر حجم من المتمدرسين % 75، و الثاني يستوعب % 25 . هذان الجمهوران يتوزعان إلى نمطين من المتمدرسين المنفصلين فيما بينهما، وغير متجانسين من خلال المضامين الإيديولوجية للمدرسة، وأشكال التطبيع التي تتخذها هذه المضامين. (R.Establet ;C.Boudelot. 1971) و بالتالي فالمدرسة تلعب وظيفة إيديولوجية لأنها رأسمالية، تخدم وظيفة التقسيم الطبقي لضمان إعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية السائدة.

وفي الفرضية الأساسية لبودلو وإيستابليBaudelot et Establet في كتابهما: المدرسة الرأسمالية في فرنسا (1972) التي فحواها أنه لم تعد هناك مدرسة واحدة، لكونها جزء من الصراع الطبقي، فما يبدو أنه توجيه مدرسي هو في حقيقة الأمر مجرد تقسيم للطبقات الاجتماعية. نحن نجد من جهة عددا وفيرا من أبناء عامة الشعب من التلاميذ **يخفقون دراسيا**، ثم يوجهون ليتبعون مسارا دراسيا قصيرا وتطبيقيا، يقابلهم من جهة أخرى نخبة من الطلبة يضفرون بالنجاح، لتنصهر مكونات هذه النخبة ضمن بوتقة " التحالف البرجوازي والبرجوازية الصغرى"، ولا تتحقق وحدة المدرسة إلاّ بالنسبة لهؤلاء الذين يتحصلون على ثقافة عليا، فهم فقط من ينفتح طريقهم الدراسي ولا يتوقف منذ الابتدائي والمتوسط والثانوي إلى التعليم العالي، فهم يمتلكون فرص الدخول للجامعة، ومن هنا نستنتج بأن الانتقاء يتم ضمن المدرسة، حيث يصل البعض إلى نهاية المطاف، وينتهي الأمر بأصحاب الطريق المسدود وهم أصحاب الإخفاق المدرسي إلى الإنتاج والأشغال الدنيا.

ويذهب الكاتبان إلى أبعد من ذلك عندما يقولان بأنّ التحضير للبكالوريا يبدأ من سن الرابعة بالنسبة لأبناء الميسورين، كما يبدأ يرتسم في ذات السن مصير الذين يتجهون إلى الورشات الكبرى للرأسمالية من خلال التعليم القصير التقني. (نور الدين زمام، د س: 187-188)

هذه المرجعيات تعتبر المدرسة بمثابة آلة تقوم بإنتاج نفس الطبقات و الفئات الاجتماعية، وذلك بواسطة الانتقاء. إذ أن المنظومة التعليمية هي التي تؤدي إلى أن تعيد الطبقات الاجتماعية إنتاج نفسها.(رشيد امعاز، حسن اقرطلو،2008/02/22).

إن استبلات و **بودلو** من خلال توجه ماركسي طورا تحليل **ألتوسير** حول الأجهزة الأيدولوجية للدولة، أي المدرسة عوضت الكنيسة في دور إعادة إنتاج أيدولوجية الهيمنة من خلال علاقات الإنتاج الرأسمالي، **بودلو** و **استبلات** يقتربان في طرحهما من **بياربورديو** و **باسرون** في دراسة المدرسة انطلاقا من المستوى الأعلى(الجامعة)، غير أن المدرسة الرأسمالية لها دور فعال في التقسيم، المدرسة تظهر موحدة غير أنها مقسمة إلى مستويين، مستوى ثانوي عالي و مستوى أولي مهني، وهذه المستويات تظهر بعد التعليم الابتدائي، إن التحكم في الكتابة والقراءة تمثل حاجزا كبيرا لفئات واسعة من التلاميذ؛ ومن هنا يؤدي إلى تقسيم التلاميذ وفق تقنيات القراءة والكتابة.

إن تقسيم التعليم إلى عالي ومهني هو تقسيم العمل اليدوي والفكري، وهذا يؤدي إلى تنوع في تكوين قوى العمل، وهذا التقسيم تدعمه الممارسات البيداغوجية؛ لأن أبناء العمال يحققون الأداء الأسوأ في المسار الابتدائي هذا خلف شعار المدرسة الموحدة، هنا تلعب المدرسة الابتدائية وظيفة مؤسسة التقسيم والتقسيمات بمرجعية القيم والأيديولوجية البرجوازية، التي تستقبل من خلال أدوات قياس تبنى على المعارف العلمية المدرسية ذات السمة البورجوازية في حلقة مفرغة، تقصي وتُبْعِدُ منذ الشهر الأول أبناء الطبقات المهيمن عليها ، وذلك من خلال الممارسات اللغوية، أين تحكم على لغة أبناء الطبقة العمالية بأنها غير صحيحة، ولغة أبناء البرجوازية تحض بالقبول. وهذا وفق الطرح الماركسي (بودبزة ناصر، د س: 4-5).